دار الشروق

جحا

١

بقلم : أحمد بَهجَت

ريشَة : مُصطفى حسَين

جحا والحمار

جحا والحمار

بقلم : أحمد بهجت
ريشة : مصطفى حسين



© دار الشروق

بيروت : مارالياس . شارع سيدة صيدنايا . بناية صفا
ص.ب : ٨٠٦٤ . برقيا : داشروق . تلكس 20175 LE
SHOROK . هاتف : ٣١٥٨٥٩ . ٨١٧٢١٣ . ٨١٧٧٦٥
٨٦٧٥٥٥ . ٣٠٧٩٨٤

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني ت : ٣٩٢٩٣٢٣ / ٣٩٣٤٥٧٨
فاكس ٣٩٣٤٨١٤ . تلكس ٩٣٠٩١ SHROK UN
٨ شارع سيبويه المصري . مدينة نصر . ت : ٢٦٣٣٣٩٨
٢٦٣٣٥٤٨ . فاكس ٦١٧٥٦٧

احتلت جيوش البرد كل طرقات المدينة .. وانسحب الناس من الميادين والشوارع وهرب كل إنسان إلى فراشه واختبأ تحت أغطيته الصوفية وراح يرتعش .

وكان جحا هو أول الهاربين إلى فراشهم خوفاً من البرد .. كانت حجرة جحا واسعة ولهذا كانت أبرد ، وكان جحا قد استغرق تماماً في النوم ، وتقلب فخرجت يده من تحت الغطاء الصوفي فبردت ، فأعادها إلى مكانها تحت الغطاء وهو نائم ، وأيقظته برودتها فقبض عليها بيده الأخرى وجلس فزعاً يصرخ في فراشه :

– قبضت على لص .. أدركوني لئلا يكون في يده حديدة يضربني بها ..

عاد جحا يصرخ : أغيثوني أدركوني .. اللصوص اللصوص ..

أيقظ جحا كل جيرانه حين صرخ ، وأسرع جيرانه وجاءوا يحملون المشاعل والمصابيح الزيتية ، فلم يجدوا سوى جحا وهو يقبض بيده اليمنى على يده اليسرى .

سألوه : أين اللص يا جحا ؟

قال : لا أعرف .. كان هنا منذ لحظات .. إنني أقبض عليه .. أيقظتني يده الباردة أو الحديدة التي يحملها في يده .

ضحك جيرانه وقالوا له : يا جحا .. أنت أحمق .. ليس هناك لص .. لقد خرجت يدك من تحت الغطاء ، فأصابها البرد ، فلما رددتها تحت الغطاء ، أيقظتك برودتها ..

فكر جحا قليلاً ثم ترك يده وهدأ .. قال لجيرانه : لقد أيقظتكم جميعاً في هذه الليلة الباردة فكيف أعتذر لكم الآن .. إنني أعترف أنني أحمق .

قال أحد جيرانه : ليس المهم أن تعتذر لنا يا جحا .. المهم أن تداوي نفسك من الحمق .. لماذا لا تذهب غداً إلى طبيب ؟

قال جحا وهو يدس نفسه في الفراش ويسحب الغطاء عليه :

– بصراحة .. ليس معي ثمن الكشف .. وليس معي ثمن الدواء .. ثم من الذي قال إن الطب يستطيع أن يداوي كل شيء .. ؟ من الحمق اعتقاد ذلك .



قال أحد جيرانه : اسمع يا جحا .. يقولون إن طبيباً عربياً سيزور المدينة غداً ، ويقولون إنه شفى كثيراً من الحمقى قبل ذلك .. لماذا لا تزوره ؟

قال جحا : ليس معي نقود ..

قال جحا كلمته ثم اعتدل في فراشه ودس يده في جيبه وأخرج كيس نقوده وأفرغه في حجره وراح يعد القطع الفضية ويرنها ويتأكد أنها صحيحة ، وكان رنين النقود يكذب جحا في ادعائه الفقر ..

سكت الجيران وسكت جحا .. ثم تكلم أحد الجيران وقال :

– لماذا تكذب يا جحا .. لماذا تدعي الفقر ومعك نقود ؟

قال جحا : هذه ليست نقودي .. هذه نقود الحمار .

سألوه : أي حمار ؟ لقد أخرجتها من عباءتك .

قال جحا : هذه نقود سأشتري بها حماراً جديداً بدل الحمار الذي مات منذ أسبوع .

قال أحد جيرانه : يا جحا .. فكر بهدوء في الأمر .. أيهما أهم .. عقلك أنت أم الحمار الذي ستشتريه ؟



قال جحا : الحمار أهم .. إن كل أعمالي معطلة منذ مات حماري السابق .. عليه الرحمة .

قال جاره : لا قيمة للحمار عند أحمق ... كم حماراً اشتريت حتى الآن وكم حماراً ضيَّعت ؟

قال جحا : العدد الذي اشتريته هو العدد الذي ضيعته .

قال جاره : ألم أقل لك إن الأفضل أن تشفى بعدها تستطيع شراء حمار تحتفظ به .

قال جحا : مات حماري السابق فهل عند الطبيب دواء يمنع الموت ؟

لم يستطع جيرانه أن يستمروا في النقاش معه ، ولهذا توقف الجدل .. وقال أحد جيرانه الأغنياء :

– يا جحا .. سوف نجمع لك ثمن الكشف والدواء ..

فهذا أفضل من إيقاظك لنا في جوف الليل .

قال جحا : دعوني أنام الآن والصباح رباح .



نام جحا نوماً هادئاً عميقاً ثم استيقظ في الصباح فدخل إلى حظيرة الحمير وراح ينظر حوله بحسرة وأسف .. كانت الحظيرة خالية تماماً ، لم يكن فيها حمار واحد ..

كان حمار جحا قد مات منذ أسبوع .. ودفنه جحا في الحظيرة ووضع رسماً للحمار فوق شاهد خشبي .

وقف جحا على قبر الحمار وقال : يا حماري الذي رحل عن عالمنا بخيره وشره ، لقد مرَّ الآن أسبوع على وفاتك ، وهي فترة أظنها كافية للحزن عليك والحداد . لكنني لا أستطيع أن أعيش بغير حمار .. إن أعمالي كلها معطلة بسبب غياب الركوبة ، فاعذرني إذا ذهبت اليوم إلى السوق واشتريت حماراً آخر .. لقد حفظت ذكراك وليست هذه خيانة لك .. لقد خنتني أنت قبل ذلك وتركتني ومضيت إلى الموت .



انصرف جحا خارج الحظيرة وجلس في الشمس .. تحسس النقود في جيبه واطمأن لوجودها وراح يفكر في لون الحمار الذي ينوي شراءه ، هل يكون غامق اللون أم أبيض .. وانتبه جحا على جاره وهو يدخل عليه .

سأله الجار : ما الذي تفكر فيه يا جحا ؟

كان جحا لا يستخف ظل هذا الجار ، بصراحة ... كان يستثقل دمه ، ولهذا قال له بغيظ : أفكر في شراء حمار أقصر منك بمقدار ذراع ..

سأل الجار : هل اشتريت الحمار أم ما زلت تفكر في شرائه ؟

قال جحا : لقد ذكَّرتني به حين دخلت .. سأذهب الآن إلى السوق وأشتريه .

قال جاره : قل إن شاء الله يا جحا ..

قال جحا معارضاً : لماذا إذا كانت النقود في جيبي والحمير في السوق ؟

نهض جحا غاضباً وخرج إلى السوق ..



كان السوق مليئاً بأصناف من الناس والحيوان والطير .. وكانت حركة البيع والشراء تمضي على أشدها فيه .

ووقف جحا في سوق الحمير سعيداً منشرحاً .. كان جحا يحب الحمير ويعطف عليها .. وأخذ يفكر أي حمار يشتري حتى عثر على حمار نحيل بائس تبدو عظامه تحت جلده ويبدو عليه الحزن والجوع وعندئذ قرر شراءه .

قال في نفسه : سيكون هذا الحمار رخيص الثمن .. ولن يكلفني طعاماً كثيراً فهو يبدو مصدود النفس ..

في هذا الوقت .. كان ثلاثة من اللصوص يقفون وسط السوق وهم يبحثون بأعينهم الحادة عن فريسة .. وشاهدوا جحا ..

قال زعيمهم : ها هو جحا قد جاء يشتري حماراً .. هيا بنا لنسرقه ..

قال أصغر اللصوص : لقد سرقناه أكثر من مرة قبل ذلك . إنه مسكين فدعوه يشتري حماره وينصرف سالماً هذه المرة .

قال اللص الثاني : لن نجد من هو أحمق منه لنسرقه .. هيا بنا ..

قال الزعيم : انتظرا قليلاً .. ستتظاهران أنكما تتشاجران .. سيتدخل لفض العراك . سأدخل معه أنا وأسرق كيس نقوده ، وعليكما أن تشغلاه وتتعلقا به حتى أنتهي من مهمتي ..

تم الاتفاق بين اللصوص وجحا ما زال على تردده يفكر ويفكر ويفكر .. ثم نشبت الخناقة فتدخل جحا لفضها فسرقوه كما اتفقوا ..

بعد انتهاء العراك واختفاء اللصوص الثلاثة ، قرر جحا أن يشتري هذا الحمار الأبيض هناك .

ومد يده يبحث عن كيسه فلم يجده ، وتذكر الخناقة المفتعلة فصرخ قائلاً : اللصوص .. اللصوص .. أغيثوني .. أدركوني .. سرق اللصوص ثمن الحمار ..

ظل جحا يصيح في السوق حتى التف حوله الناس .. وجاء الشرطي وقال له : ماذا حدث يا جحا ولماذا تصرخ . ؟ لا تقل لي إن اللصوص سرقوك ..

قال جحا : لقد سرقني اللصوص وأنت نائم تشخر .. هذه قرية سائبة ليس فيها شرطة ولا حكومة ، سوف أذهب إلى القاضي على الفور وأشكو له ..



خشي الشرطي أن يتهموه بالتقصير فوقف وزعق في السوق :

– أنا أعرف من الذي سرق جحا ، وعلى اللص أن يضع كيس النقود المسروق جوار النافذة بعد دقائق .. وإذا لم يحصل ذلك فسوف أقبض على جميع اللصوص على الفور ..

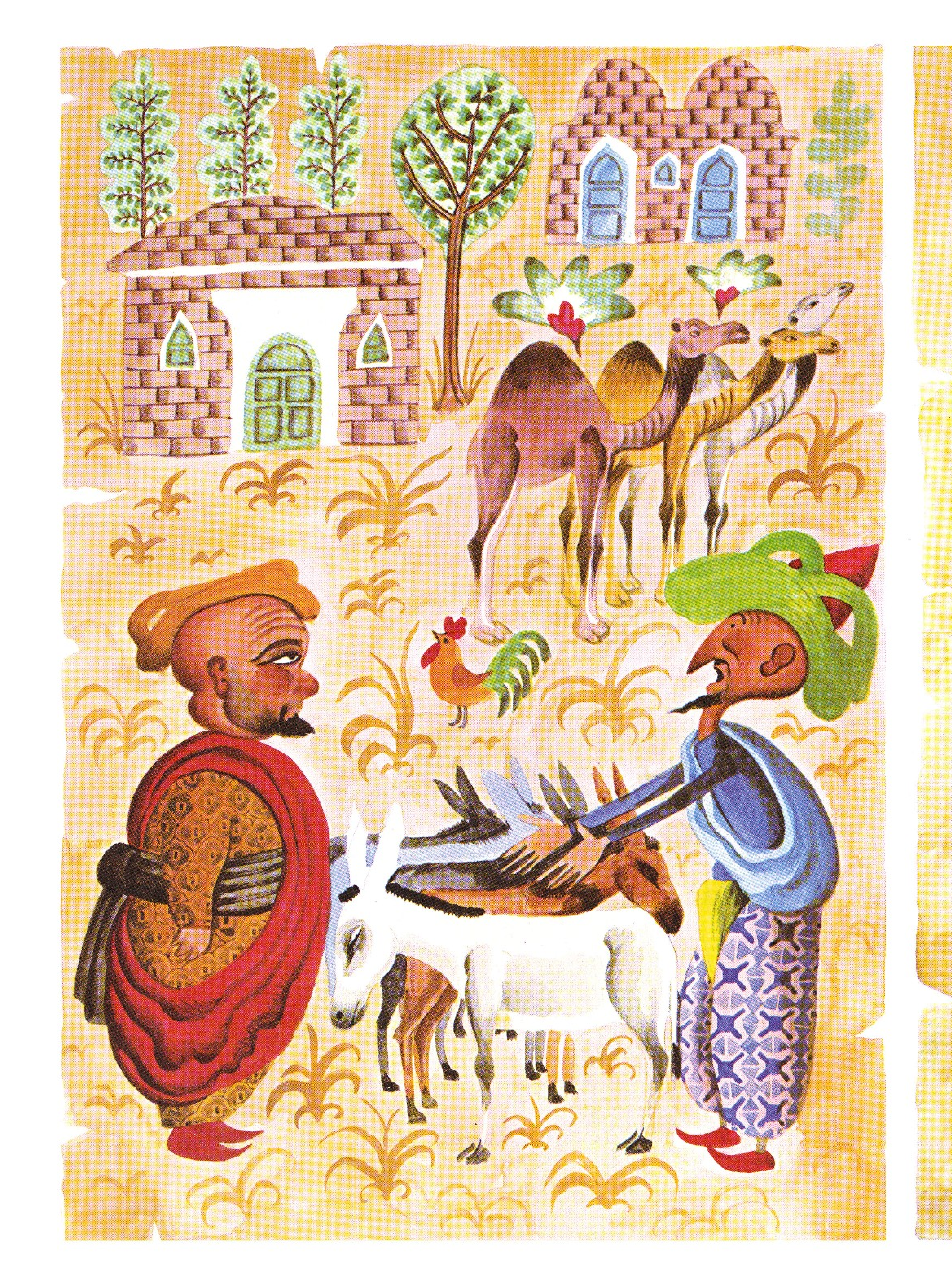
أعطى الشرطي ظهره للسوق فخاف اللصوص ووضعوا كيس جحا بهدوء جوار النافورة ، وذهب جحا وتناول كيس نقوده واشترى الحمار ووقف يشرب كوباً من اللبن ..

انتهى جحا من شرب كوب اللبن وسحب الحمار وسار ، وسار خلفه اللصوص الثلاثة ، ثم تقدم أحدهم وقد لاحظ أن جحا لا ينظر خلفه ، تقدم وفك الحبل من حول رقبة الحمار وأعطى الحمار لزميليه فأسرعا به هاربين ، أما هو فربط الحبل حول عنقه وسار وراء جحا ..

بعد قليل .. التفت جحا خلفه ، فشاهد رجلاً بدلاً من الحمار ..

توقف جحا وسأل الرجل : ما هذا .. أين الحمار ؟؟

قال اللص : أنا الحمار ..



قال اللص : إن حكايتي طويلة .. لقد كنت حماراً منذ لحظات ، ثم انقلبت إلى إنسان .

قال جحا : كيف كنت حماراً ؟

قال اللص وهو يمثل أنه يبكي : لقد كنت طفلاً شقياً لا يسمع كلام والدته ولا يطيع والده ، فدعت عليَّ أمي أن يسخطني الله حماراً فصرت حماراً ، فذهبت إلى السوق وباعتني .. جئت أنت فاشتريتني ، ويبدو أن أمي رضيت عني فدعت لي أن أعود إنساناً فعدت إنساناً ..

قال جحا : لا حول ولا قوة إلا بالله .. لماذا أغضبت والديك ؟ لقد ضاعت نقودي في المرة الأولى وضاع حماري في المرة الثانية .. ماذا أفعل بك الآن ؟ أنت لا تصلح حماراً ولا تصلح إنساناً ..

قال اللص : أنا على استعداد لأن أذهب معك وأنهق لك وأخدمك كما لو كنت حماراً ..

قال جحا – وقد رق قلبه – لا .. اذهب وعوضي على الله فيما دفعته فيك .. وإياك أن تغضب والدتك أو والدك بعد اليوم .

انصرف اللص بعد أن قبل يد جحا وأسرع يختفي من أمامه ..

عاد جحا إلى بيته وهو يمسك في يده الحبل الذي كان يسحب به الحمار .

سأله جاره : أين الحمار يا جحا ؟

قال جحا : ضاع الحمار إن شاء الله ..

قال جاره : أمرك غريب يا جحا .. سألتك في الصباح فقلت إنك ذاهب لشراء حمار من السوق ، لم تقل إن شاء الله ، وحين سألتك لماذا لا تقول إن شاء الله ، قلت لي إن النقود في جيبك والحمير في السوق ، وها أنت تعود الآن بغير حمار ولا نقود فتقول ضاع الحمار إن شاء الله ..

إنك تقولها متأخرة يا جحا ..

يجب أن تقول إن شاء الله قبل عملك لينجح عملك ، ولا يجب أن تقولها بعده ..

قال جحا : لقد عاقبني الله على سوء أدبي ..

سأل جاره : ماذا حدث ؟

حدثه جحا عما حدث فسأل جاره : هل صدقت حكاية الحمار الذي كان إنساناً وانسخط ؟

قال جحا : نعم صدقت .

قال جاره : لأنك أحمق .. هل ينسخط الإنسان حماراً ؟ هل رأيت إنساناً يتحول إلى حمار قبل ذلك ؟

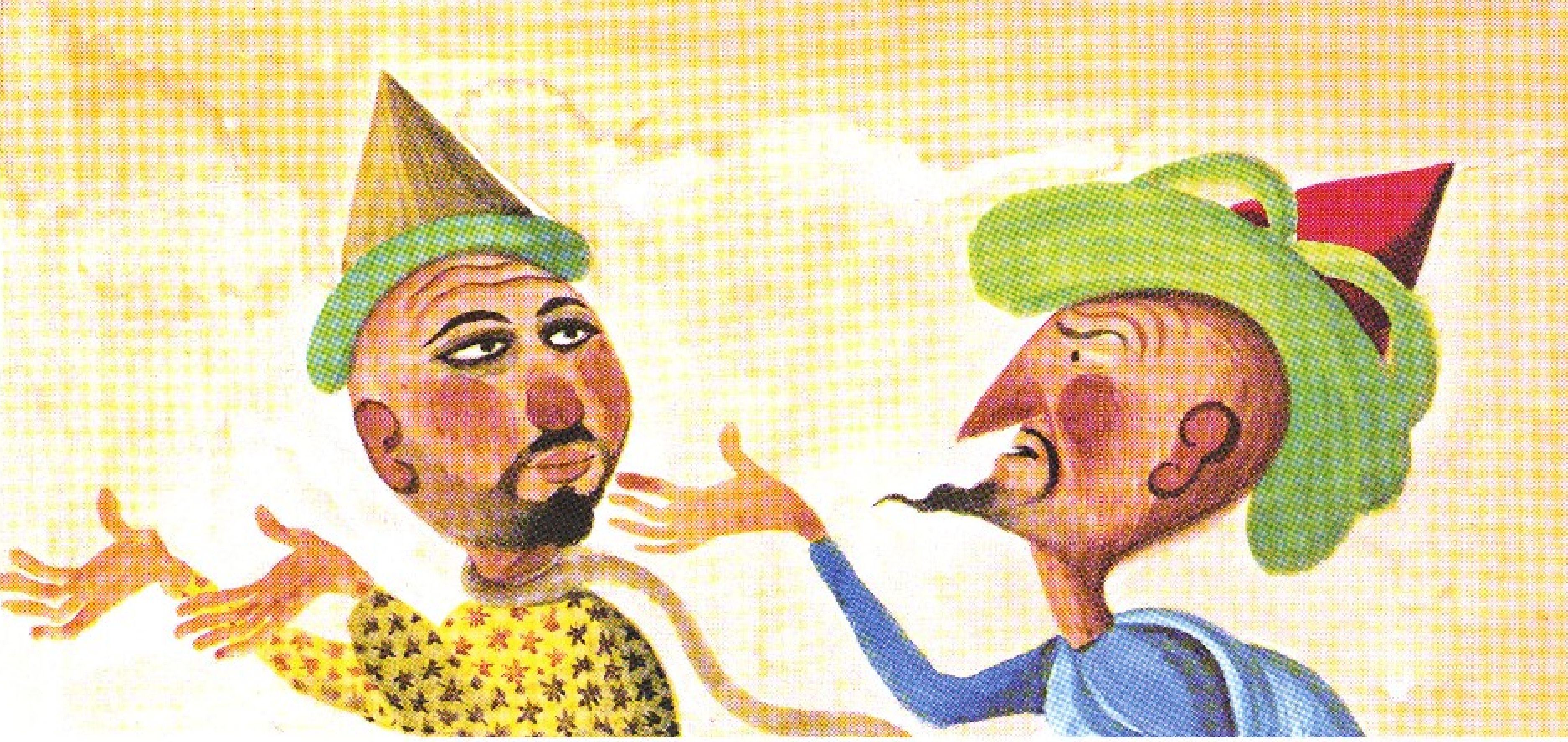
قال جحا : لقد ضحك عليَّ اللصوص في المرتين .. سأذهب إلى السوق .

عاد جحا أدراجه إلى السوق .. وقف وسط سوق الحمير فشاهد حماره الذي اشتراه يقف في السوق .. اقترب من الحمار ومال على أذنيه الطويلين وقال له :

– لماذا عدت إلى إغضاب والدتك ؟

ثم رفع رأسه ونظر إلى الحمار وقال :

– الحمار هو نفسه .. لو انه كان إنساناً مسخوطاً فكيف يعود إلى نفس الصورة الحمارية السابقة .. لقد خدعني اللصوص .



ذهب جحا إلى تاجر الحمير وسأله : ألم أشترِ منك هذا الحمار اليوم ؟

قال التاجر : نعم .. ثم اشتراه منك رجل وعاد يبيعه لي ..

سأله جحا : تقول إن الذي اشتراه رجل .. هل أنت متأكد انه لم يكن امرأة ؟

قال التاجر : متأكد ..


قال جحا : إن قصة الأم التي دعت على ابنها قصة خرافية ، لقد خدعني اللصوص .. انتهى الأمر وسوف أذهب إلى رئيس القضاة ..

سار جحا وهو يزعق ويصيح في طريقه إلى رئيس القضاة .



مطابع الشروق

بيروت : مار الياس - شارع سيدة صيدنايا - بناية صفا
ص.ب : ٨٠٦٤ - برقياً : داشروق - تلكس LE ٢٠١٧٥
SHOROK - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٢ - ٨١٧٧٦٥
٨٦٧٥٥٥ . ٣٠٧٩٨٤



مطابع الشروق

بيروت: مار الياس - شارع سيدة صيدنايا - بناية صفا
ص.ب: ٨٠٦٤ - برقياً: داشروق - تلكس LE ٢٠١٧٥
SHOROK - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - ٨١٧٧٦٥
٨٦٧٥٥٥ - ٣٠٧٩٨٤